مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (21)– العدد (02)(ديسمبر، 2020) - ص 633 - 650
ISSN 1111-5149 /E.ISSN 2430-2588

استدعاء التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر -قراءة في نماذج شعرية-

Convocation the religious heritage in contemporary Algerian poetry -reading in poetry models-

غنية بوبيدي[1] ، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة،(جامعة باتنة 1)،
ghania.boubidi@univ-batna.dz
محمد زرمان، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، (جامعة باتنة 1) facbatna@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2020-03-30	07-11-2020

ملخّص:

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة إشكاليّة تجليات التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر، من خلال عرض مجموعة من النماذج الشعرية لشعراء جزائريين معاصرين وهم "مصطفى الغماري"، "يوسف وغليسي"، "حسين زيدان"، لدراسة ما أضافه هذا التراث لنصوصهم الشعرية على المستوى الفكري والفني صياغة وتعبيرا. وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي من أجل فهم أكثر في قراءة النص الشعري الجزائري المعاصر والبحث فيه عن التراث الديني ومدى تفاعل الشعراء معه.

وتصل الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمّها أنّ التّراث الدّيني له أهمّية بالغة في العمليّة الإبداعية؛ إذ يكشف، ويُجلي، ويُثري النّص الشعري بدلالات وإيحاءات متنوّعة، وقد استفاد الشاعر العربي المعاصر عموما والجزائري خصوصا من تراثه الدّيني؛ سواء كان نصّا قرآنيا وذلك انطلاقا من مصداقيّة القرآن الكريم وقدسيّته وإعجازه، أو شخصيّات تراثيّة دينيّة كشخصيّات الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات اللّه وسلامه، ووظّفها في أشعاره كرموز ثقافيّة دينيّة وفقا لتجربته الشعرية الخاصّة.

كلمات مفتاحية:

الاستدعاء، التراث، التراث الديني، الشعر الجزائري، المعاصرة.

Abstract

This study aims to discuss the problematic concept of manifestations of religious heritage in contemporary Algerian poetry, by presenting a collection of poetic models of contemporary Algerian poets, and they are: “Mustafa Ghemari”, “Youssef Weghlissi”, “Hussein Zidan”, to study what this heritage added to their poetic texts on intellectual and technical level in terms of formulation and expression by using descriptive analytical method.

There are certain results; the most important of them is that religious heritage is extremely important in the creative process, as it reveals, evokes and enriches the poetic text with various connotations and suggestions. The contemporary Arab poet, in general, and the Algerian in particular, have benefited from his religious heritage, whether it is a Quranic text based on the credibility, sanctity, and miracle of the holy Quran or religious heritage characters, and use it in his poems as religious cultural symbols.

Keywords

convocation, heritage, religious heritage, Algerian poetry, contemporary.

1- غنية بوبيدي

مقدّمة

إن مصطلح "التراث" مرتبط بالأصالة، فهو خلاصة تجارب الأجيال السابقة وكل ما أنتجه أسلافنا وخلفوه لنا من أفكار أو إنجازات سواء أكانت مادية أم معنوية.

لاشك أن للتراث أهمية بالغة في أدبنا العربي الحديث والمعاصر؛ إذ يعدّ منبعا من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الرجوع إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي، وفق رؤية إنسانية معاصرة. وهذا يعني أن الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتّأثّر.

ولعلّ علاقة الشاعر بالتراث وقضاياه ورموزه واحدة من أبرز القضايا، التي ما برح النقاد يناقشونها، محاولين الكشف عن تمظهراتها الفنية والموضوعية، التي تصنع لكل شاعر فرادته، ضمن سياق عام، يحضر فيه التراث بوصفه أحد أهم مصادر الشاعر المعرفية والفنية والجمالية. وبموجب توظيف الشاعر المعاصر لتراثه الثقافي يتحول النص الشعري إلى متن مفتوح على مختلف القراءات والتأويلات في ارتباطاتها بمختلف الأزمنة والأمكنة، ومن هنا كان لا بدّ من مراجعة التراث وتنميته وحسن محاورته ومثاقفته.

والشاعر الجزائري المعاصر واحد من أولئك الشعراء الذين قرؤوا التراث، واستنطقوا نصوصه، فكان التراث الديني أحد أهم المصادر التي استقى منها مادته الشعرية حتى أصبح توظيف النص الديني المقدس من أنجح الوسائل الفنية لبسط المواقف وتشكيل الرؤى، وذلك لخاصيته المتفردة والمتميزة والتي تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وبذلك فقد كان له الفضل في إثراء التجربة الشعرية المعاصرة بالرموز الدينية المختلفة والمتنوعة.

ومن هنا جاءت فكرة هذا المقال الذي نحاول من خلاله الكشف عن مدى حضور التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر، وذلك من خلال استنطاق مجموعة من النماذج الشعرية لثلاثة شعراء جزائريين معاصرين وهم: "مصطفى الغماري"، "يوسف وغليسي"، "حسين زيدان"، وبيان كيفية توظيف النص القرآني والشخصيات الدينية في نصوصهم الشعرية.

أهمية الدراسة وأهدافها:

*تنبع أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى للكشف عن مفهوم التراث الديني، ودوره البارز في العملية الإبداعية للشاعر العربي المعاصر عموما، والشاعر الجزائري المعاصر على وجه الخصوص، بحيث أدرك هذا الأخير أهمية القرآن الكريم فنيا وفكريا، مستخرجا بذلك طاقاته الكامنة لاستغلالها في حمل أبعاد تجربته الشعرية المعاصرة، كما أدرك كذلك أهمية استدعاء الشخصيات الدينية كشخصيات الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات اللّه وسلامه، موظفا إياها كرموز ثقافية في أشعاره، وذلك لكون كل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالته إلى أمته.

*تهدف هذه الدراسة إلى:

- بيان مفهوم التراث الديني و أهمية استدعائه في الشعر العربي المعاصر.
- بيان تجليات التراث الديني في النص الشعري الجزائري المعاصر، وذلك من خلال مجموعة من النماذج الشعرية لشعراء جزائريين معاصرين وهم: "مصطفى الغماري"، "يوسف وغليسي"، "حسين زيدان".
- الكشف عن أهمية استدعاء القرآن الكريم، والشخصيات الدينية كشخصيات الأنبياء والمرسلين في الشعر الجزائري المعاصر.

إشكالية الدراسة:

- ما مفهوم التراث الديني وما هي تجلياته في الشعر العربي المعاصر عامة وفي الشعر الجزائري المعاصر على وجه الخصوص؟

حدود الدراسة:

الدراسات السابقة:

من أبرز الدراسات التي تناولت موضوع التراث الديني، والتي استعنت بها لفهم الموضوع وكتابة هذا المقال ما يلي:

1- "المقدس الديني في الشعر العربي المعاصر – من النكبة إلى النكسة– " لأحمد زكي كنون.
2- "أثر القرآن في الشعر العربي الحديث" لعبود شلتاغ شراد.
3- "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر" لعلي عشري زايد.
4- "التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)" لمحمد عابد الجابري.

ولكن كل هذه الدراسات تناولت المقدس الديني والشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث والمعاصر عموما، وهذا المقال يركز على التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر، أما بالنسبة لطريقة تحليل الأشعار فتبقى نفسها.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لأن طبيعة الموضوع مرهون بفعل القراءة التحليلية المسؤولة إلى حد ما عن إعطاء القيمة الأدبية للنص الأدبي أو سحبها عنه، وذلك ما سنحاول الوقوف عليه من أجل فهم أكثر في قراءة النص الشعري الجزائري المعاصر والبحث فيه عن التراث الديني ومدى تفاعل الشعراء معه.

الصعوبات:

لابدّ أن تواجه أي دارس في علم من العلوم جملة من الصعوبات والعراقيل الناجمة عن طبيعة بحثه الذي يتناوله بالدراسة، وقد اعترضت سبيل هذا البحث جملة من الصعوبات، من أهمها:

- ندرة الدواوين الشعرية للفترة المدروسة وصعوبة الحصول عليها.
- قلة الدراسات العلمية والأكاديمية التي تناولت موضوع التراث عموما والتراث الديني خصوصا، والتي تعين على استنارة الطريق.

أولا/ التراث الديني بين المفهوم وأهمية الحضور في الشعر العربي المعاصر:

لقد كان الدين وسيظل مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري لدى جميع الأمم والشعوب، وهو مكون أساسي لبناء الشخصية الإنسانية والتي لا تستطيع الاستغناء عن أبعاده الروحية والغيبية، فالتراث الديني له أهمية بارزة في العملية الإبداعية، إذ يكشف ويجلي ويثري النص الشعري بدلالات وإيحاءات مختلفة.

1.مفهوم التراث:

يُعدّ التراث إطارا عاما تنتظم فيه الموروثات ومنجزات الأجيال السابقة، فهو كل ما وصلنا من سلف عاش وخلّف، من عادات وتقاليد ولباس وأدوات وما تبعها من الفنون القولية من أمثال وألغاز وأغانٍ شعبية، وعليه فالتراث رافد مهم من روافد المعرفة الإنسانية.

أ/ التراث لغة:

لقد وردت لفظة "تراث" بمعانٍ مختلفة في المعاجم العربية، القديمة منها والحديثة، حيث جاء في "لسان العرب" مادة (وَرثَ): «الإرث هو الميراث وهو الأصل، ويقال الإرث في الحسب والورث في المال، ويقال الإرث صدق أي في أصل الصدق ... وعن ابن أعرابي الوَرث والورث والوارث والإراث والتراث، واحد... ويقال توارثناه، أي ورثه بعضنا عن بعض قدما».(ابن منظور، د.ت، ص207)

وقد ورد في "معجم التهذيب": «عن ابن الأعرابي قال: الورث والإراث والوراث والتراث واحد. قال أبو زيد: ورث فلان أباه، فهو يرثه، وراثه وميراثا أو أورث الرجل ولده مالا إراثا حسنا...» (الأزهري، 1967م، ص177).

ونجد في معجم "مقاييس اللغة": «فالواو والراء والثاء: كلمة واحدة هي الورث والميراث أصله الواو، وهو أن يكون الشيء لقوم، ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب. قال: ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا»(ابن فارس، د.ت، ص105).

من خلال ما ذكرناه في مادة "وَرثَ" يتضح لنا بأنها تحمل عدة مشتقات ترتكز معانيها ودلالاتها حول ما خلفه الجيل الأول للأجيال اللاحقة.

وقد جاءت كلمة "التراث"، في كتاب اللّه عزوجل في موضع واحد، قوله تعالى: «وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20)» (سورة الفجر، الآيات 19،20)، والمقصود بقوله تعالى (أكلا لما)، كما يقول "الزمخشري": «هو الجمع بين الحلال والحرام، أي أنّهم كانوا يجمعون بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم» (الزمخشري، 1925م، ص534).

من كلّ ما سبق نستنتج بأن المعنى اللغوي لكلمة "تراث" يعني انتقال شيء ملك شخص لشخص آخر، وهي كل ما يورثه الآباء أبناءهم من مال أو ممتلكات أخرى.

ب/ التراث اصطلاحا:

التراث مصطلح شامل نطلقه لنعني به كل من الموروث الحضاري والبقايا القولية والسلوكية التي بقيت تنتقل عبر التاريخ من بيئة إلى أخرى. ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي للتراث كثيرا عن معناه اللغوي، حيث يعرف "عبد النور جبور" التراث بأنه: «ما تراكم خلال الأزمنة، من تقاليد وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون، وعلوم، في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني، والسياسي، والتاريخي، والخلقي، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه» (جبور، 1984م، ص63).

أما الدكتور "محمد عابد الجابري" في كتابه: "التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)"، يعرف التراث بأنه:«كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أم ماضي غيرنا، قريبا كان أو بعيدا؛ فليس التراث هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد وحسب، بل هو أيضا ما ينتمي إلى الماضي القريب، وأن الماضي القريب متصل بالحاضر، والحاضر مجاله ضيق، فهو نقطة اتصال الماضي بالمستقبل»(الجابري، 1991م، ص45).

إن التراث من خلال فكر الجابري هو الماضي بكل ما فيه، قريبا كان أو بعيدا.

والتراث هو ذلك التراكم المعرفي المتوارث غير المحدود، الزاخر بالقيم والقادر على البقاء أبد الدهر، متى كان الوعي به قائما، بالرغم من التطور الحاصل على مختلف الأصعدة، إذ تمثل الآثار الجانب المادي الذي يشكل مع التراث كل ما تركه الإنسان في فترة من الزمن.

ومصطلح التراث مرادف للأصالة، فكل ما خلفه لنا أجدادنا من عادات وتقاليد وقيم هي من صلب أصالتنا التي يجب أن نعتز ونتمسك بها حتى وإن كنا نواكب روح العصر. وفي هذا يقول "بشير بهادي": «إن مصطلح التراث من بين القضايا التي شهدت مدا وجزرا لدى الباحثين والدارسين، ويشاركه في الذكر الاستحضار الجدلي مصطلح الحداثة، وهذه الثنائية توازيها جدليا ثنائية الأصالة والمعاصرة، فارتبطت الأصالة مع التراث وترادفت الحداثة مع المعاصرة وظلت الأفكار والرؤى تؤجج الصراع الداعي إلى التحضر»(بهادي، 2017م، ص29).

من خلال التعريف الاصطلاحي لكلمة "تراث" يتضح لنا أن التراث هو خلاصة تجارب الأجيال السابقة وكل ما تركته للأجيال اللاحقة في مختلف المجالات المادية والمعنوية، فهو ما ينتقل من عادات وتقاليد وفنون بوصفها موروثا سابقا. فالتراث يمثل بمفهومه الواسع، الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، التي بها يمكن معرفة هذا الفرد وذاك المجتمع.

2.مفهوم التراث الديني:

ان التراث الديني –في البحث - مرتبط في أساسه بأصول الدين الإسلامي وأسسه ومضامينه، وما ارتبط بأصول العقيدة الإسلامية وما اتصل بالقرآن الكريم والشخصيات الإسلامية التي جسدت صور الجهاد والعدالة والصبر والإيمان، «فلم يكن غريبا إذن أن يكون الموروث الديني مصدرا أساسيا من المصادر التي عكف عليها شعراؤنا المعاصرون واستمدوا منها شخصيات تراثية عبّروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة»(زايد، 1997م، ص76) ، فالقرآن الكريم من أهم المصادر في حياة الإنسان، لأنه كتاب اللّه المعجز الذي تجلى فيه أعلى درجات التصوير الفني، أنزله اللّه سبحانه وتعالى على رسوله الكريم محمد صلى اللّه عليه وسلم، ليكون دليلا على صدق رسالته، وهو نص حي حاضر في كل زمان ومكان منذ نزوله وحتى آخر الزمان.

لطالما استقطب القرآن الكريم اهتمام الشعراء، بأسلوبه البليغ المعجز، حيث نلمس تأثيره في نصوصهم الشعرية المعاصرة، فاستحضروا المفردة القرآنية ذات الدلالة العميقة، كما نهلوا من معانيه وأمثاله وقصصه وأخباره التي لا تخلو واحدة منها من حكمة أو عبرة، فقد «أفاد الشاعر المعاصر في توظيفه للمقدس الديني من غِنى هذا المقدس، ومن شيوعه وتداوله، فعبر به نحو خلق لغة تتجاوز محدودية اللغة المتداولة دلاليا رغم استعصاء هذا المقدس الديني على التحويل»(كنون، 2006م، ص186).

والقرآن الكريم حافل «بمادّة قصصيّة وافرة عن الماضين، أفرادا وجماعات، شعوبا وقبائل، أنبياء وأقوامهم، وردت في مقاطع رائعة وسياقات حجاجيّة إقناعيّة» (صحراوي، 2008م، ص119). وهو ما نلاحظه من خلال وجود الشّخصيات الدينية كشخصيات الأنبياء والرسل عليهم صلوات اللّه وسلامه، فهي من أهمّ الرموز التراثية الدينية، فالرمز هو ذلك الذي «يبتكره الشاعر ابتكارا محضا أو يقتلعه من حائطه الأوّل أو منبته الأساس، ليفرغه جزئيا أو كليا من شحنته الدلالية الأولى أو ميراثه الأصلي، ثمّ يشحنه بشحنة شخصية أو مدلول ذاتي مستمد من تجربته الخاصة، وفي كلتا الحالتين، يصبح الرمز ذا نكهة شخصية حميمة يغدو مفتاحها مهمّا يساعد على فهم تجربة الشاعر وملامسة همه الكبير وفضّ مغاليق هواجسه»(العلاّق، 1990م، ص57).

إن التراث الديني له أهمية بالغة سواء أكان في الحياة الاجتماعية أم العملية الإبداعية؛ إذ يكشف ويثري النص الشعري بدلالات وإيحاءات متنوعة، «فالعملية الإبداعية في عمومها إذا أضفنا إليها استبداد المقدس الديني بالمبدع وبالنص المتجلي في هيمنته على الوجدان لتجذره في كيان المبدع، أدركنا أن التعامل مع هذا المقدس الديني في النص الشعري الحديث كان تعبيرا عن واقع يصعب تجاوزه، وأن تفنن الشعراء العرب المعاصرين في توظيفه كان نتيجة طبيعية لما كان يحيط واقعيهم الخاص والعام»(كنون، 2006م، ص228).

3.أهمية استدعاء التراث الديني في الشعر العربي المعاصر:

يُعدّ التراث الديني من أهم المصادر التي لجأ إليها الشاعر العربي المعاصر؛ إذ نهل منه ما يتجاوب مع تجاربه الحاضرة، فالمهمة المخولة له في حاضره مشابهة للمهمة التي أداها الرسل والأنبياء في زمن مضى، فكل «من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالته إلى أمته، والفارق بينهما هو أن رسالة النبي رسالة سماوية»(زايد، 1997م، ص77). حتى أن بعض الشعراء أدركوا أن ما ينتابهم من مشاعر وأحاسيس قبل وأثناء كتابة نصوصهم الشعرية، يكاد يتقارب مع ما عاشه الأنبياء والرسل (صلوات اللّه عليهم وسلامه)، أثناء تلقيهم لوحي اللّه عزوجل.

إن الشعر تربطه بالدين روابط وثيقة، استطاعت هذه الروابط أن ترفع من شأن الشعر، فقد جاء في كتاب "الشعر العربي" لمحمد بنيس أن «الدين والشعر نشآ توأمين، وأن الدين كان، وما يزال، وسيلة يستعين بها الإنسان لتفسير ظواهر الطبيعة وقواها الغامضة واسترضاء هذه القوى المجهولة من جهة، ثم لتنظيم العلاقات بين البشر من جهة أخرى، أدركنا أن تفسير الحياة وتنظيمها، أو تحسينها بالأحرى، ظلا طوال أجيال عديدة، من أهم أغراض الشعر وأهدافه»(بنيس، 2001م، ص89).

وقد كان التراث الديني في كل العصور، ولدى كل الأمم مصدرا ثريا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء موضوعات ونماذج مختلفة وصورا أدبية. فاستحضار الشخصيات الدينية وشخصيات الأنبياء والرسل مثل: المسيح عيسى وموسى وأيوب ويوسف، عليهم سلام اللّه أجمعين، وغيرها من الرموز الدينية التي وجد فيها الشاعر العربي المعاصر فسحة، مكنته من التنقل بين ما جرى لها في زمنها الماضي، وبين ما يجري له في زمنه الحاضر خاصة، وأن ما «يحتويه الأدب الديني من كنوز شعرية وروحية تشكل عدّة لا غنى عنها للشعر والشاعر... ذلك أن القرآن كلمة كان ولا يزال سبيلا لا بد منه لكل من يريد إتقان اللغة أو الدخول في عالم الأدب»(فاضل، 1984م، ص31).

كما يعد القرآن الكريم مصدر إلهام، وقد نزع معظم الشعراء المعاصرين إلى استلهام صياغات منه، تستطيع أن تنقل أكبر قدر من المعاناة والمشاعر والأحاسيس، ويكاد لا يخلو خطاب شعري عربي حداثي من استدعائه وامتثاله، ويصل التمثل إلى درجة الذوبان في كثير من الأحيان، إذ يجد الشاعر العربي المعاصر في تراثه الديني كل ما يحتاجه من رموز تعبر عما يريد تناوله من قضايا سياسية واجتماعية وفكرية وحضارية، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية العامة، بكل ما يحويه من قصص وعبر عن الأولين والآخرين.

وعلى العموم، فإن لجوء الشاعر العربي المعاصر إلى التراث بصفة عامة وإلى التراث الديني خصوصا ليس اعتباطيا أو من قبيل الصدفة، بل هو وعي منه وإدراك تام بمدى غنى هذا التراث بالإمكانات، التي تمنح تجربته الشعرية طاقات تعبيرية واسعة، «إذ نجد أن توظيف النصوص الدينية في الشعر يعد من أنجح الوسائل، وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص التي تجعلها تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وبخاصة في حرص الذاكرة البشرية على حفظه ومداومة تذكره، فلا تكاد ذاكرة

الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيا، أو شعريا»(فضل، 1987م، ص59).

ثانيا/ تجليات التراث الديني في الشعر الجزائري المعاصر:

إن استخدام التراث الديني ليس جديدا بالنسبة للشعر الجزائري، «فقد كان القرآن الكريم مصدرا هاما من مصادر الصورة الشعرية لدى المحافظين والوجدانيين سواء أكان ذلك في جيل الإحياء أم جيل الثورة» (ناصر، 1985م، ص585)، فهذا التراث يعود بالدرجة الأولى إلى التكوين الأول للشاعر الجزائري والمتمثل في حفظ كتاب اللّه عزوجل، وإلى البيئة الجزائرية المحافظة التي نشأ وترعرع فيها الشاعر، «فنشوء أغلب الشعراء العرب المعاصرين الرواد في طبقات اجتماعية متوسطة، واعتماد تكوينهم الأول على الأساليب التقليدية القديمة، القائمة على الاستظهار مع التركيز على المقدس الديني متونا، ونصوصا، وأساليبا، رسّخ في أعماقهم ذلك الموروث الثقافي المقدّس بكل خصوصياته، ولم يستطيعوا التحرر الكلّي منه، وتجسّد في بعض نصوصهم الإبداعية واقعا متميزا ذا حضور قوي، دون أن ينفي عنها صفة الحداثة»(كنون، 2006م، ص168).

فالشاعر الجزائري المعاصر وظف التراث الديني في أشعاره سواء كان نصا قرآنيا أو شخصيات دينية، وفي هذا عرض لبعض النماذج الشعرية:

1.النص القرآني:

يعدّ القرآن الكريم مصدر إلهام، يرجع إليه الشعراء ويقتبسون منه، لأنه يمثل عطاء متجددا للفكر والشعور الإنساني، فاستحضار النص القرآني في الخطاب الشعري المعاصر يعطي تميزا لدلالات النصوص الشعرية، انطلاقا من مصداقية الخطاب القرآني وقدسيته وإعجازه، فهو كلام اللّه عزوجل الذي لا يعلوه أي كلام آخر.

وتوظيف النصوص القرآنية من أكثر النصوص الدينية شيوعا وانتشارا، وهو رافد مهم للشعر العربي «فقد نزعت فئة من الشعراء العرب المعاصرين إلى أن تقتبس من القرآن صياغات جديدة لم يعرفها الشعراء من قبل، ومشكلة التعبير هي التي تحمل الشاعر على التفتيش عن عبارات جديدة ولغة غير مستهلكة تستطيع أن تنقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والإحساس»(جيدة، 1980م، ص66).

إنّ الشاعر الجزائري مصطفى الغماري من الشعراء الذين أدركوا أهمية القرآن الكريم فنيا وفكريا، فراح يستحضره في أشعاره، ويمتاح من دلالاته وإيحاءاته وفقا لتجربته الخاصة، ففي قصيدة "قدر أن نعشق الشمس"، يقول:

يولد الحـــــيّ من الميّـــــت كما تولـــد نار من حجـــر! (الغماري، 2001م، ص33)

قارئ هذا البيت الشعري يجد بأن الشاعر قد استحضر الآية الكريمة: «**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (19)**» (سورة مريم، الآية 19) ، حيث

استبدل الفعل "يولد" بالفعل "يخرج" مع الإبقاء على باقي الجملة كما جاءت في النص القرآني لتنسجم مع السياق الشعري الذي وردت فيه.

وفي توجيه الخطاب إلى الفدائية الفلسطينية "ليلى المقدسية" لتكون نارا على الأعداء وطغيانهم، يقول الغماري:

يا نارها كوني البَوار على العِدى وتـفـجّـري بـالـمـاردات.. وفـجّـري (الغماري، 2001م، ص42)

في هذا البيت الشعري تحضر الآية الكريمة: «**قُلْنَا يَا نَار كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيم**» (سورة الأنبياء، الآية 69)، والتي يوجه بها الله سبحانه وتعالى الأمر للنار حتى لا تحرق الخليل عليه السلام.

وفي قصيدة "يا أيها الشهداء" يقول الغماري:

أفـأنت تُـسمع من أصمّ وما به وقرٌ ويفهمُ عنك من لا يفهمُ؟!
أفـأنت تـهدي مـن يضل وما له هادٍ سواه.. وساء عِلجٌ أعجمُ!
(الغماري، 2001م، ص78)

في البيتين الشعريين اقتباس من قوله تعالى: «**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42)وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُون(43)** » (سورة يونس، الآيات 42،43) ، وقد وظّف الشاعر هذه الآية الكريمة توظيفا متوافقا مع السياق الشعري.

وفي قصيدة "أصون الهوى"، يستحضر الشاعر مصطفى الغماري كلمتين (المهل والغسلين) ليعبر بهما عن حياة الرذيلة التي تعيشها أمته، وما يعتريها من فساد وانحلال أخلاقي، وأن هواه نظيف، طاهر لا يشبه في وجه من الوجوه هذا الواقع المتردي، يقول:

أصون الهوى من عالم متخثّر حميّاه.. هجّيراه مُهْلٌ وغسلين (الغماري، 1985م، ص39)

نلمح في هذا البيت الشعري الأثر القرآني جليّا واضحا، فقد استلهم الشاعر قوله تعالى: «**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ(45)كَغَلْيِ الْحَمِيمِ(46)** » (سورة الدخان، الآيات من 43 إلى 46) ، وقوله: «**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيم وَلَا طَعَام إِلَّا مِنْ غِسْلِين لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**» (سورة الحاقة، الآيات من 35 إلى 37). وكلمتا (المهل والغسلين) توحيان بكل معاني القبح والبشاعة، لأنهما صديد أهل النار، وقد وفّق الشاعر في توظيفهما.

كما نجد النص القرآني حاضرا في شعر الشاعر الجزائري المعاصر "يوسف وغليسي"، فيقول في ديوان: "تغريبة جعفر الطيار":

وطـنـي امـــرأة وشّـحـت روحـهـا بـالـعفاف وأنـــا الـمـلـك الآدمـــي الـــذي يـشـتـهـي

أن يـمـوت عـلـى صـدرهـا الـمـرمـري خاشعا يتصدّع من خشية الوجد والإنخطاف
(وغليسي، 2003م، ص 34، 35)

إن السطر الأخير هو امتصاص للآية الكريمة: «**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّه**»(سورة الحشر، الآية 21). وقد حاور الشاعر تركيب هذه الآية الكريمة في بعض عناصرها.

وكذلك قوله:

فمن سيدلّ الخطيب على سارق المصحف؟
أو نذبح صفراء فاقعة اللون كي نهتدي... (وغليسي، 2003م، ص35)

في السطر الشعري الثاني استدعاء لقوله تعالى: «...**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**» (سورة البقرة، الآية 69)، إذ استحضر الشاعر قصة سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، في شأن قتلهم نفسا منهم، وادّرائهم فيها، ليرادفها بحادثة مشابهة لها، لكنها حدثت في زمن الشاعر ألا وهي حادثة "سرقة المصحف" الذي هو "الوطن"، حيث تسبب أبناؤه في ضياعه، ما دفع كل فريق أن ينفي التهمة عن نفسه، ويلحقها بغيره، وفي هذا استدعاء لإطار القصة القرآنية، ومحاورة لبنية النص الغائب.

وفي موضع آخر يقول:

يسألونك عن صالح.. عن ثمود الجديدة..
عـن نـاقة اللّه يـعقرها سيّد الـجاهلين.. (وغليسي، 2003م، ص63،62)

يستحضر الشاعر قوله تعالى «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا(15) » (سورة الشمس، الآيات من 11إلى 15) ، حيث أصاب ثمود الجديدة "جزائر عشرية الموت والرعب" ما أصاب ثمود "صالح" من هلاك لتكذيبهم رسول اللّه إليهم.

يستحضر الشاعر الجزائري المعاصر سورة "الزلزلة"، ليعبر بها عن الأوضاع السيئة والظروف الصعبة، يقول وغليسي في قصيدته "تجليات نبي سقط من الموت سهوا":

وسـوف أحـطّ مـن الـملـكوت..
سأعود غداة تزلزل تلك الممالك زلزالها
وجـبـال "الـزبـربـر" تـخـرج أثـقـالـهـا!
ويـعـود الـحـمام إلـى شـرفـات الـبيوت! (وغليسي، 2003م، ص41)

يعبّر الشاعر "يوسف وغليسي" من خلال استحضاره لسورة "الزلزلة" عن تلك الظروف الصعبة القاهرة، التي تشوّه صورة وطنه، والتي ينتظر زوالها وعودة السلام ليعم الأرجاء (ويعود الحمام إلى شرفات البيوت).

إن الشاعر الجزائري المعاصر "يوسف وغليسي" لا تعجبه الأوضاع التي يعيشها في وطنه، ويتمنى أن تتغير للأفضل، وذلك على يد حاكم عادل، فيقول في قصيدة "تغريبة جعفر الطيار"، وهو يستحضر سورة "الزلزلة"، والتي يعتبرها زلزلة للنظام الفاسد والأوضاع السيئة:

أعـدت أسـراب الـحمام لوكرها
وأعدت وصل خليجها بمحيطها
وأعـــــدت حـلـمـا خـانـهـا...
تـــلـــك الـفـصـائـل لـيـتـهـا
قـــــد زلـــزلـــت زلـــزالـــهـا (وغليسي، 2003م، ص53)

من خلال الأسطر الشعرية، نلاحظ أن الشاعر قد وظف عبارة (زلزلت زلزالها) المستمدة من قوله تعالى: «**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**» (سورة الزلزلة، الآية 01)، ليدلل بها على تغير الظروف والأحوال.

كما نجد الشاعر الجزائري "حسين زيدان" يلجأ غالبا إلى السور القرآنية القصيرة (المسد، الشرح، العصر، التين...)، ويستلهم منها ألفاظا ليخدم بذلك تجربته الشعرية المعاصرة، فيقول:

.. وأبحر عبر شرايينك.. مازلت وطيبة هذا البلد الآمن
.. أرقب عينيك الخضراء.. بين الزيتون، وبين التين..
مازلت وحلم الطير يمزق ذاكرتي.. أكمل سفري عبر الضوء
.. وأجـــمـــع أشـــلائـــي يـــا صـــبـــاح.. (زيدان، د.ت، ص36)

يتحدث الشاعر عن عشقه لوطنه، موظفا بذلك ألفاظا من سورة التين (وطيبة هذا البلد الآمن، بين الزيتون، بين التين)، يقول تعالى: «**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)**» (سورة التين، الآيات: 1، 2، 3).

وبعد مجموعة من التساؤلات يستحضر الشاعر سورة الشرح وسورة العصر، رغبة منه وأملا في تغير الأوضاع إلى الأحسن وزوال الهموم والأحزان والمخاوف، يقول:

.. ولـمـاذا الـحـزن.. لـمـاذا الـخـوف.. لـمـاذا الـبـرد؟
لـمـاذا يـفـجعني حـلـمي؟ غـفـران عـيـونك يـا أمـي..
ولـمـاذا الـريـح.. لـمـاذا الـصـمـت.. لـمـاذا الـرعـد..
وينكرني في القول فمي؟، غفران دموعك.. يا أمي..
هل يأتي اليسر مع العسر؟ إن الإنسان لفي خسر.. (زيدان،د.ت، ص37)

في قول الشاعر "هل يأتي اليسر مع العسر؟" تناص مع قوله تعالى: «**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**» (سورة الشرح، الآية 5)، وفي قوله "إن الإنسان لفي خسر" تناص مع قوله تعالى مقسما بالعصر: «**وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)**» (سورة العصر، الآية 1،2).

وفي موضع آخر يقول زيدان:

فـــأقـــرأ ســـــورة (والـعـصـر)

والـــعـــصـــر إنـــــــــي أذوب

يذوب من الشوق للنور فَيْ... (زيدان، د.ت، ص44)

لقد أقسم الشاعر بالعصر كما اقسم به اللّه سبحانه وتعالى وذلك من شدة الشوق.

كما نجد لسورة "المسد"وشخصية "أبي لهب" حضورا في شعر حسين زيدان يقول:

فـقـالوا: قـبـلنا أبـا لـهب:

فانتظر "سورة الكافرين"

"وتـــبـــت يـــــدا..." (زيدان، 2002م، ص136)

ويقول أيضا:

وهـــــــــم عـــــــــرب

لأن جـــلـــدي جـلـــدهـــم

ووخزة التيار لم تُدْمِ الخشب

فـــاقـــرأ عـــلـــى حـكـامـهـم:

"تـبـت يـــدا أبـــي لـهـب" (زيدان، د.ت، ص51)

الشاعر حسين زيدان ينظر إلى حكام العرب بنظرة تشاؤمية، بحيث يشبههم بشخصية "أبي لهب"، الذي توعده اللّه في كتابه العزيز بعذاب جهنم وبئس المصير، فلا المال أغناه أو ما كسب. لهذا نجد بأن السطر الشعري الأخير اقتباس لقوله تعالى: «**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**»(سورة المسد، الآية 1).

من كل ما سبق نستنتج بأن الشاعر الجزائري المعاصر متعلق بكتاب اللّه عزوجل، فراح يستحضر الألفاظ والعبارات والتراكيب القرآنية وفقا لتجربته الخاصة، وذلك لتشكيل رؤية جديدة للقصيدة المعاصرة.

2.شخصيات الأنبياء والمرسلين:

من أهم الشخصيات الدينية المستدعاة في القصيدة الجزائرية المعاصرة، نجد شخصيات الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات اللّه وسلامه، «ويتّسم الكلام عن الأنبياء والرسل أو الإشارة إليهم بروح المؤمن الذي يلتجئ إلى حياتهم ومعجزاتهم ليستمد منها بعض مواقفه الشعرية إزاء قضايا الحرية والتحرر، ويوظفها في رؤاه وصوره الشعرية لتشخيص الواقع أو الترويح بها عن نفسه، أو أمته أو تقوية إيمانه وعزيمته، أو تقوية إيمان قومه وعزيمتهم»(حجيج، 2016م، 192).

ومن خلال المدونات التي درستها في الشعر الجزائري المعاصر، سأعرض بعض النماذج الشعرية التي استدعى فيها أصحابها شخصيات الأنبياء والمرسلين:

أ/ شخصية النبي محمد ﷺ:

محمد نبراس العالمين، مخرج الناس من الظلمات إلى النور، آخر الأنبياء والمرسلين، والشاعر الجزائري المعاصر متأثر بشخصيته وبسيرته الزكية ﷺ، فهذا "مصطفى الغماري" يستحضر شخصية الرسول محمد ﷺ، عندما يصور لنا المكائد التي تتعرض لها الأمة العربية الإسلامية من الغرب المسيحي، الذي حاول طمس هويتها والقضاء على أصالتها وأمجادها، فيقول على لسان الأمة:

وأنـــا الـجـذور.. سـخـيـة أوصـالـهـا
تـخضرّ.. تـورق بـالضحى الـمنساب
ها عُدت.. ملء فمي أهازيج الألى
غـنّوا.. وفـي جـفني يضيء كتابي
وأنـا الـربيع سـرى.. فـكان "محمد"
يـسـقي الـوجـود.. حـلاوة الإيـمان (الغماري، 1982م، ص59،60)

من خلال الأسطر الشعرية، نجد بأن الشاعر الغماري قد استدعى اسم النبي "محمد"، والذي يرمز لمكارم الأخلاق والفضائل والقيم العليا، فهو الموجّه والمرشد والقدوة دائما لكل الأجيال.

ب/ شخصيّة نوح عليه السلام:

من أبرز ما استلهمه الشعراء الجزائريون من شخصية النبي نوح عليه السلام قصة الطوفان، ليُعبّر كلّ واحد منهم عن إبحارٍ خاضه من زاوية تجربته الشخصيّة، فهذا "يوسف وغليسي" وظّف القصّة ليُعبّر بها على انسداد ما في الأفق وحالٍ من الضّياع الذي لم يجِدْ ما يدُلُّ عليه غير الطّوفان، ولكنّه طوفان بلا نهاية، وبلا جبل الجوديّ لاستواء سفينته، ويبقى الشّاعر ماضيا في الإبحار والمغامرة برغم كلِّ ذلك، فيقول:

سفينتي في عباب العمر، يغمرها طوفان " نوح" ولا "جودي" يأويني!
الـريـح تـقـصفها.. والـمـوج يـصفعها ويـــلاه! ويـــلاه! والإبـحـار يُـغـريني! (وغليسي،1995م، ص 82)

وفي موضع آخر يجعل وغليسي من قلبه جبل جوديّ، ترسو فيه سفينة نوح، فيقول في قصيدة «**فجيعة اللّقاء**»:

نـــوارس حـبـك تـهـجـر بـحـري
فـتـبـكـي الـبـحـار اشـتـيـاقـا
تـغيب.. تغيب وراء مسافات عمري
وترسو سفينة نوح بقلبي.. ولكنها
قـبـيـل الـرحـيـل تـــذوب احـتـراقـا (وغليسي،1995م، ص 36)

استحضر الشاعر قصة سيدنا نوح عليه السلام الذي دعا اللّه النّجاة من الطوفان، قال تعالى: «**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي**

رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(64) » (سورة الأعراف، الآيات من 59 إلى 64)، فما سفينة نوح عليه السّلام إلّا هذا الوطن الذي تربّع في قلب الشّاعر، فتفاعل معه، واندمجت ذاته الشّاعرة بذات وطنه الجزائر، وروحه بروح الجزائر.

ج/ شخصيّة أيوب عليه السّلام:

يبرز من شخصيّة أيّوب عليه السّلام ملمح الصّبر العظيم، الذي استعاره الشّاعر المعاصر لتقريب المعاناة والابتلاءات، وتعميق دلالة القدرة الخارقة على التّحمُّل والصّبر، «فهو في شعرنا المعاصر رمز للصبر على البلاء، والإيمان في المحن والرّضا التّام بقضاء الله، وقد شاع بهذه الدّلالة منذ استخدمه بدر شاكر السياب للتعبير عن مرحلة من مراحل تجربته»(زايد، 1997م، ص 90).

وقد استدعى الشاعر " حسين زيدان" شخصيّة أيوب عليه السّلام في قصيدة " عام الحزن"، وذلك في قوله:

قد مسّك الضّر الذي أفنى الجميـــــع
ولـــــــــم تـــــمُـــــتْ..
قـد عـشْتَ أيّـوب العصور ولم تخُـــنْ
أخْـفـيْـتَ ســـرَّك فـــي حـــــراءَ
ويـــــوم ثـــــورٍ لـــــم تَـــهـــنْ..
والـــعـــام.. هـــذا الـــعـام حـــــزن
بـــعـــــدهُ، يـــأتـــي الـــعـــــروج
سُـبـحـان مـــن أســـرى بـــــــه!
ســبـحـان مـــن أســـرى بـــهـــــمْ! (زيدان، د.ت، ص69)

تتشكّل هذه المقطوعة الشّعريّة ضمن محور واحد، يتأسّسُ انطلاقا من شخصيّة " أيّوب" عليه السّلام، كان استدعاؤها ضمن القناع البسيط، إذ عمد إليه الشاعر ليوحّد بينه وبين الوطن، وذلك لاشتراكهما في الصّبر على البلاء والصّلابة في تحمّل الألم، والرّضا بقضاء الله وقدره، مستعملا أسلوب التصريح المجمل، ليؤكّد صمود الوطن رغم تعرُّضه لشتّى الضُّغوط والاضطرابات، فالشّاعر حزينٌ بما ألمَّ بهذا الوطن من فتن، إلا أنّه واثقٌ من قدرة الله عزّوجلّ على تغيُّر الوضع.

وفي قصيدة " فجيعة اللقاء"، يقول وغليسي مستحضرا شخصية أيوب عليه السلام:

سمراء لاحت كـالوميض بـناظري ... فـاهـتزّ كـالـبركان مـوج مـشاعري
عصفت عهودنا والهموم بمهجتي ... فـتـجدّد الـجـرح الـدّفـين بـخاطري
جـرح عـلـى جـرح وجـرحي واحـد ... والـجـرح نـبـع قـصـائدي ومـحابري
أيـوب سـافـر فـي دمـي، لـكنني ... أتـفـيـأ الـذكـرى، ولـسـتُ بـصـابـر

والـغربة الـسّوداء تـنهش أضلعي وتــصـادر الــورد الـجـميل بـنـاظري (وغليسي، 1995م، ص 38)

الشاعر توالت جراحاته وتجرّع الهمّ من سرعة ظهور الفتاة السمراء وسرعة اختفائها، الذي شبّهه بوميض البرق، فيستدعي في هذا السياق رمز " أيوب" عليه السلام الذي امتحنه اللّه تعالى في بدنه وأهله وماله، فكان صابرا، شاكرا، حتى أصبح مضربا للأمثال في الصبر، قال سبحانه وتعالى: «**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ(84)** » (سورة الأنبياء، الآيات 83، 84).

غير أنّ الشاعر يفاجئنا بمفارقة، وهي أنه من كثرة جراحه وهمومه وأحزانه، لم يعُد قادرا على الصّبر والتّحمّل، قائلا:

والغربة السوداء تنهش أضلعي وتصادر الورد الجميل بناظري.

د/ شخصية عيسى عليه السلام:

شخصية المسيح عيسى عليه السلام أو شخصية " يسوع"، من الشخصيات التي اتّخذها الشاعر الجزائري المعاصر كرمز لتحمّل المكابدة والمعاناة في سبيل حمل الرّسالة، «فهذه الشخصية النبوية التي منحها اللّه معجزة إحياء الموتى وشفاء المرضى، وهي الشخصية التي اقترن ذكرها بالرفق والرحمة، والطّهر والنقاء، فضلا عن أنها أصبحت رمزا عالميا إلى التضحية حتى الصّلب في سبيل المُثُل السماوية، أو التضحية في سبيل أيّ مَثل يؤمن به الإنسان» (شلتاغ، 1987م، ص116)، يقول الشاعر يوسف وغليسي:

يـــسـألـونـك عـــنـــي...
قل إني ما قتلوني وما صلبوني ولكن
سـقـطـت مـــن الـمـوت سـهـوا...
رفـعـت إلـــى حـضـرة الـخـلـد...
إنـــي تـلاشـيـت سـكـران...
إنـي تـشـظيت فـي وهـج الـوجـد... (وغليسي،2003م، ص40)

لقد استوحى الشاعر قصة سيدنا عيسى عليه السلام، لأنه وجد في أجوائها مجالا رحبا للتعبير الوجداني عن آلام ومعاناة الإنسان، فلا يحتاج المتلقي إلى مجهود كبير لفهمها وإدراك مغزاها، " فالمسيح" عليه السلام معادل رمزي للشاعر الذي يعاني من مرارة الواقع الذي يعيشه، فجاءت لغته ملائمة للسياق الذي وردت فيه.

ه/ شخصية يونس عليه السلام:

لقد عرّج الشاعر حسين زيدان على شخصية " يونس" عليه السلام ومعاناتها في بطن الحوت حينا من الدّهر، واصفا أحداثها في قصيدة تحمل عنوان: " يونس والبحر"، يقول:

فلا تحزن إذا عمّ السّكـــــوت فإنّ الغيم بالتقوى يفـــــــــوت
و(يونس) ضاق من قوم أضلّوا فأبلغ حكمةً وسما الثُّبـــــــــوت
فيضجر من عشيـــرته ازورارا ليُصبح آية للنّاس، حـــــــــوت
فصوّب من هدى الإيمان رُمْحًا كأنَّ ليُونس التّسبيحَ قـــــــــوت (زيدان، د.ت، ص 21)

في هذه الأبيات الشعرية، يُشبّه الشاعر " حسين زيدان" جيل الصّحوة الإسلاميّة في فراره بدينه، بالنبي يونس عليه السلام، مطمئنا في الوقت نفسه هذا الجيل بأن لا خوف عليه مادام يحمل التسبيح والقنوت لرب العزّة زادًا له، وسينجو كنجاة يونس من بطن الحوت.

خاتمة ونتائج الدراسة

نخلص في ختام هذه الدراسة إلى أنّ التّراث الدّيني كان ذا حضور بارز في الشعر العربي المعاصر عموما، وفي الشعر الجزائري المعاصر على وجه الخصوص، بحيث استعان الشعراء الجزائريون بالقرآن الكريم في ظلّ تكوينهم بالثّقافة الدّينيّة الأصيلة، فعمل كلّ من "مصطفى الغماري"، "يوسف وغليسي"، "حسين زيدان" على استحضار ألفاظ وعبارات قرآنيّة في خطاباتهم الشّعريّة، كلٌّ حسب تجربته الشعريّة المعاصرة، وذلك انطلاقا من مصداقيّة الخطاب القرآني وقدسيته وإعجازه، كما اهتموا كذلك باستحضار الشخصيات التراثية الدينية، فكانت شخصيات الأنبياء والمرسلين صلوات اللّه عليهم وسلامه، من أبرز تلك الشخصيات الدينية استدعاء في أشعارهم كرموز ثقافية دينية تمثل تجربة الشاعر، لأن كل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته. ومن شخصيات الأنبياء الذين ركزت عليهم هذه الدراسة نجد: نوح، أيوب، يونس، عيسى ومحمد عليهم صلوات اللّه وسلامه أجمعين.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- إنّ التّراث مصطلح مرادف للأصالة، وهو كلّ ما خلّفه لنا أجدادنا من عادات وتقاليد وقيم، والتي يجب أن نعتزّ ونتمسّك بها.
- إنّ التّراث الدّيني يتمثّلُ في النّصوص الدّينيّة كالقرآن الكريم، والشّخصيّات الدّينيّة كشخصيّات الأنبياء والمرسلين.
- إن التراث الديني على تنوع دلالاته واختلاف مصادره، شكّل مصدرا إلهاميا ومحورا دلاليا لكثير من المعاني والمضامين التي استوحاها الشاعر العربي المعاصر، وحاول النّفاذ من خلالها لتصوير معاناته، والتّعبير عن قضاياه، ومواقفه، وتعميق تجاربه.
- للتّراث الدّيني أهمّية بالغة في العمليّة الإبداعيّة؛ إذ يكشف، ويُجلي، ويُثري النّص الشّعري بدلالات وإيحاءات متنوّعة.
- لقد استفاد الشاعر العربي المعاصر عموما والجزائري خصوصا من تراثه الدّيني؛ مُدركًا أهمّية القرآن الكريم فنّيًّا وفكريًّا، فراح يستحضر ألفاظا وعبارات وتراكيب قرآنيّة، ويوظّفها في أشعاره لتشكيل رُؤية جديدة للقصيدة المعاصرة.
- لقد استفاد الشاعر الجزائري المعاصر من شخصيّات الأنبياء والمُرسلين ووظّفها في أشعاره كرموز دينيّة لخدمة تجربته الشّعريّة المعاصرة.

قائمة المصادر المراجع

- ابن فارس. *معجم مقاييس اللغة، ج6*. بيروت: دار الجيل.
- ابن منظور. *لسان العرب، ج3، مادة (وَرثَ)*. بيروت: دار لسان العرب.
- الأزهري أبو محمد بن أحمد.(1967م). *تهذيب اللغة، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، مادة (وَرثَ)*. مصر، القاهرة: دار الكتاب العربي. ،
- الجابري محمد عابد. (1991م). *التراث والحداثة (دراسة ومناقشات)* (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الزمخشري محمود بن عمر. (1925م). *الكشاف، ج2*. مصر، القاهرة: المطبعة البهية.
- العلاق علي جعفر . (1990م). *في حداثة النص الشعري، دراسات نقدية*(ط1). العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
- الغماري مصطفى. (1982م). *أسرار الغربة*. الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- الغماري مصطفى. (1985م). *بوح في موسم الأسرار*. الجزائر: مطبعة لافوميك.
- الغماري مصطفى. (2001م). *قصائد منتفضة*(ط1). الجزائر: منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة.
- بنيس محمد. (2001م). *الشعر العربي الحديث -بنيته وإبدالاتها- الشعر المعاصر*(ط3). المغرب ، الدار البيضاء: دار توبقال.
- جبور عبد النور. (1984م). *المعجم الأدبي*(ط2). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- جيدة عبد الحميد. (1980م). *الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر*. بيروت: مؤسسة نوفل.
- حجيج معمر. (2016م). *الهاجس الثوري التحرري في شعر أحمد معاش (مكاشفة الأعماق الموضوعاتية وجماليات أساليبها)* (ط1). باتنة، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع.
- زايد علي عشري. (1997م). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- زيدان حسين. *فضاء لموسم الإصرار*. قسنطينة: منشورات SED.
- زيدان حسين. *اعتصام*. قسنطينة: منشورات SED.
- زيدان حسين. (2002م). *شاهد الثلث الأخير*(ط1). الجزائر: اتحاد الكتاب الجزائريين.
- شلتاغ عبود شراد. (1987م). *أثر القرآن في الشعر العربي الحديث*(ط1). دمشق: دار المعرفة.
- صحراوي إبراهيم. (2008م). *السرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات)* (ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- فاضل جهاد. (1984م). *قضايا الشعر الحديث*(ط1). بيروت: دار الشروق.
- فضل صلاح. (1987م). *إنتاج الدلالة الأدبية*(ط1). القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.
- كنون أحمد زكي. (2006م). *المقدس الديني في الشعر العربي المعاصر-من النكبة إلى النكسة-*. المغرب: افريقيا الشرق.
- ناصر محمد. (1985م). *الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975)* (ط1). بيروت، لبنان: دار المغرب الإسلامي.
- وغليسي يوسف. (1995م). *أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار*(ط1). قسنطينة: إبداع للنشر والتوزيع.
- وغليسي يوسف. (2003م). *تغريبة جعفر الطيار*(ط2). قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.

- بهادي بشير. (2017م، فبراير). جمالية الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية (قراءة في رواية تنزروفت بحثا عن الظل لعبد القادر ضيف اللّه). *مجلة إشكالات*.(العدد 11). معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست -الجزائر-.